

روح المعاني

وبيان نوبيان قبح صده وقد يراد بالأشياء الحقوق مطلقا فانهم كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسورا .

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم كانوا قوما طغاة بغاة يجلسون على الطريق فيبخسون الناس أموالهم وكانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه الجياد ويقولون دراهمك هذه زيوف فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخر وروي أنهم يعطونه أيضا بدلها زيوفا فكأنه لما نهو عن البخر في الكيل والوزن نهوا عن البخر والمكس في كل شيء قيل : ويدخل في ذلك بخر الرجل حقه من حسن المعاملة والتوقير اللائق به وبيان فضله على ما هو عليه للسائل عنه وكثير ممن انتسب إلى أهل العلم اليوم مبتلون بهذا البخر وليتهم قنعوا به بل جمعوا حشفا وسوء كيلة فانا والله إنا إليه راجعون .

وبدأ عليه السلام بذكر هذه الواقعة على ما قال الامام لأن عادة الأنبياء عليهم السلام أنهم إذا رأوا قومهم مقبلين على نوع من أنواع المفساد اقبالا أكثر من إقبالهم على سائر الأنواع بدأوا بمنعهم عن ذلك النوع وكان قومه عليه السلام مشغولين بالبخر والتطفيف أكثر من غيره والمراد من الناس ما يعمهم وغيرهم أي لا تبخسوا غيركم ولا يبخر بعضكم بعضا ولا تفسدوا في الأرض بالجور أو به وبالكفر بعد اصلاحها أي اصلاح أمرها أو أهلها بالشرائع فالإضافة من إضافة المصدر إلى مفعوله بحذف المضاف والفاعل الأنبياء وأتباعهم .

وجوز أن لا يقدر مضاف ويعتبر التجوز في النسبة الإيقاعية لأن اصلاح من في الأرض اصلاح لها وأن تكون الإضافة من إضافة المصدر إلى الفاعل على الاسناد المجازي للمكان وأن تكون على معنى في أي بعد اصلاح الانبياء فيها ويأبى الحمل على الظاهر لأن الإصلاح يتعلق بالأرض نفسها كتعميرها واصلاح طرقها لا تفسدوا في الأرض ذلكم خير لكم إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخر والافساد أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه وأياما كان فافراد اسم الإشارة وتذكيره ظاهر .

ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقا أو في الانسانية وحسن الأحداث وما يطلبونه من التكسب والتريح لأن الناس إذا عرفوهم بالأمانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم وقيل : ليس المراد من خير هنا معنى الزيادة لأنه ليس للتفضيل بل المعنى ذلكم نافع لكم إن كنتم مؤمنين .

58 .

- قيل المراد بالايمان معناه اللغوي وتخص الخيرية بأمر الدنيا أي ان كنتم مصدقين لي في قلبي ومثل هذا الشرط على ما قال الطيبي إنما يجاء به في آخر الكلام للتأكيد ويعلم من

هذا أن شعيبا عليه السلام كان مشهورا عندهم بالصدق والأمانة كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم مشهورا عند قومه بالأمين وقال بعض الذاهبين إلى ما ذكر : إن تعليق الخيرية على هذا التصديق بتأويل العلم بها وإلا فهو خير مطلقا .

وقال القطب الرازي : إن ذلك ليس شرطا للخيرية نفسها بل لفعلهم كأن قيل فاتوا به إن كنتم مصدقين بي فلا يرد أنه لا توقف للخيرية في الإنسانية على تصديقهم به وقيل : المراد به مقابل الكفر وبالخيرية ما يشمل أمر الدنيا والآخرة أي ذلكم خير لكم في الدارين بشرط أن تؤمنوا وشرط الإيمان لأن